المجلد الأول من الكتاب الموسوم

مجمع البيان لعلوم القرآن

للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل

الطبرسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

من سورة الفاتحة إلى سورة يوسف

بترتيب شعب الحجب صفحات

الجزء السابع

٣٢٣ بخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه والنفس في الارادة كما في قول الشاعر فنفساي نفس قالت ائت ابن بحدل تجد فرجا من كل غم تهابها ونفس تقول اجهد نجاءك لا تكن
كخاضبة لم تغن شيئا خضابها وقال النمر بن تولب اما خليلي فاني لست معجله حتى يؤامر نفسيه كما زعما نفس له من نفوس القوم صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع
الثمنا يريد انه بين نفسين نفس تأمره بالجود واخرى تأمره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل كما يقال لئيم راضع والنفس العين التي تصيب الانسان وروي ان رسول الله كان
يرقي فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من كل عين عائن ونفس نافس وحسد حاسد قال ابن الاعرابي النفوس الذي تصيب الناس بالنفس وذكر رجلا
فقال كان حسودا نفوسا كذوبا وقال ابن عباس لو ان شيئا سبق القدر لسبقته النفس اهلها النفوس عليها فعل بحرها الريح والنجم وقال مضرس وانا نواصيها فلنبع عليهم منا الجبار ولا نفوس لحسد
والنفس الغيب يقال اني لاعلم نفس فلان اي غيبه على هذا تأويل الآية ويقال النفس في العقوبة وعليه حمل بعضهم قوله ويحذركم الله نفسه والرقيب اصله من الترقب و
الانتظار ومعناه الحافظ وقيل لقوم خاد سهم والشهيد الشاهد لما يكون ويجوز ان يكون بمعنى العليم **الاعراب** حقيقة اذ ان يكون لما مضى وهذا معطوف
على ما قبله فكانه قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم وذلك اذ يقول يا عيسى وقيل انه تعالى انما قال له ذلك حين رفعه اليه فيكون القول ماضيا عن البلخي وهذا
قول السدي والصحيح الاول لان الله عقب هذه الآية بقوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم واراد به يوم القيمة وانما خرج هذا مخرج الماضي وهو للمستقبل تحقيقا لوقوعه
كقوله تعالى ونادى اصحاب النار ومثله قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت يريد اذ يفزعون وكذلك قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار وقال ابو النجم ثم جزاه الله عنا اذ جزى
جنات عدن في العلالي العلا من دون الله من انه مؤكدة للمعنى قوله ان كنت قلته المعنى ان اكن الآن قلته فيما مضى وليس كان فيه على المضي لان الشرط والجزاء لا يقعان
الا فيما يستقبل وحرف الجزاء يغير معنى المضي الى الاستقبال الا ترى هذا قول المحققين وقوله ان اعبدوا الله ذكر فيه وجوه احدها النصب بدلا من ما امرتني به والثاني ان يكون
مجرور الموضع بدلا من الهاء في به والثالث ان يكون ان مفسرة لما امرتني به بمعنى اي وعلى هذا فلا موضع لها من الاعراب **المعنى** ثم عطف سبحانه على ما تقدم من التوبيخ
فقال واذ قال الله والمعنى اذ يقول الله يوم القيمة لعيسى يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله هذا وان خرج مخرج الاستفهام فهو تقريع
وتهديد لمن ادعى ذلك عليه من النصارى كما جرى في العرف بين الناس ان من ادعى على غيره قولا فيقال لذلك الغير بين يدي المدعي عليه ذلك القول أأنت قلت هذا القول ليقول
لا فيكون ذلك استعظاما لذلك القول وتكذيبا لقائله ذكره البلخي والجبائي وهو ان يكون الله اراد بهذا القول تعريف عيسى ان قومه قد اعتقدوا فيه وفي امه انهما الها
لانه يمكن ان يكون عيسى لم يعرف ذلك الا في تلك الحال عن البلخي والاول اصح وقد اعترض على قوله الهين فقيل لا نعلم في النصارى من اتخذ مريم الها والجواب عنه من وجوه احدها
انهم لما جعلوا المسيح الها لزمهم ان يجعلوا والدته ايضا الها لان الولد يكون من جنس الوالدة هذا على طريق الالزام لهم والثاني انهم لما عظموها تعظيم الآلهة اطلق اسم
الآلهة عليها كما اطلق اسم الرب على الرهبان والاحبار في قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله لما عظموهم تعظيم الرب والثالث انه يحتمل ان يكون فيهم من
قال ذلك ويعضد هذا القول ما حكاه الشيخ ابو جعفر عن بعض النصارى انه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم المريمية يعتقدون في مريم انها اله فعلى هذا يكون القول
منهم كالقول في الحكاية عن اليهود وقولهم عزير ابن الله قال يعني عيسى سبحانك جل جلالك وعظمت وتعاليت عن ذلك وقيل معناه تنزيها لك وبراءة مما لا يجوز عليك وقيل تنزيها
لك من ان تبعث رسولا يدعي الهية لنفسه ويكفر بنعمتك يجمع بين التوحيد والعدل ثم تبرأ من قول النصارى فقال ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اي لا يجوز لي ان اقول
لنفسي ما لا يحق لي فآمر الناس بعبادتي وانا عبد مثلهم وانما تحق العبادة لك لقدرتك على اصول النعم ثم استشهد الله تعالى على براءته من ذلك القول فقال ان
كنت قلته فقد علمته يريد اني لم اقله لاني لو كنت قلته لم يخف عليك لانك علام الغيوب تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم غيبي وسري ولا اعلم غيبك وسرك
عن ابن عباس وانما ذكر النفس لمزاوجة الكلام والعادة جارية بان الانسان يسر في نفسه فصار قوله ما في نفسي عبارة عن الاخفاء ثم قال ما في نفسك على جهة المقابلة
والا فالله منزه عن ان يكون له نفس او قلب يحل فيه المعاني ويقوي هذا التأويل قوله انك انت علام الغيوب لانه علل علمه بما في نفس عيسى بانه علام الغيوب وعيسى ليس كذلك
فلذلك لم يعلم ما يختص الله بعلمه ثم قال حكاية عن عيسى جوابا عما قرره تعالى عليه ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم اي لم اقل للناس الا ما امرتني به من
الاقرار لك بالعبودية وانك ربي وربهم والهي والههم وامرتهم ان يعبدوك وحدك ولا يشركوا معك غيرك في العبادة وكنت عليهم شهيدا اي شاهدا ما دمت حيا فيهم
بما شاهدته منهم وعلمته وبما ابلغتهم من رسالتك التي حملتنيها وامرتني بادائها اليهم فلما توفيتني اي قبضتني اليك وامتنعت عن الجبائي وقيل معناه وفاة الرفع الى
السماء عن الحسن كنت انت الرقيب اي الحفيظ عليهم عن السدي وقتادة وانت على كل شيء شهيد اي انت عالم بجميع الاشياء لا يخفى عليك خافية ولا يغيب عنك شيء قال
الجبائي وفي هذه الآية دلالة على انه اماته عيسى وتوفاه ثم رفعه اليه لانه بين انه كان شهيدا عليهم ما دام فيهم فلما توفاه الله كان هو الشهيد عليهم وهذا ضعيف
عليهم لان التوفي لا يستفاد من اطلاقه الموت الا ترى الى قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فبين انه تعالى يتوفى الانفس التي لم تمت ان
تعذبهم فانهم عبادك لا يقدرون على دفع شيء من انفسهم وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم في هذا تسليم للامر الى مالكه وتفويض الى مدبره وتبرؤ من ان
يكون اليه شيء من امور قومه كما يقول الواحد منا اذا تبرأ من تدبير امر من الامور ويريد تفويضه الى غيره هذا الامر لا مدخل لي فيه فان شئت فافعله وان شئت
فاتركه مع علمه وقطعه على ان احد الامرين لا يكون منه وقيل ان المعنى ان تعذبهم فباقامتهم على كفرهم وان تغفر لهم فبتوبة منهم كانت منهم عن الحسن فكانه اشترط التوبة
وان لم يكن الشرط ظاهرا في الكلام وانما لم يقل فانك انت الغفور الرحيم لان الكلام يخرج مخرج السؤال فلو قال ذلك لاوهم الدعاء لهم بالمغفرة على ان قوله العزيز الحكيم
ابلغ في المعنى وذلك ان المغفرة قد تكون حكمة وقد لا تكون والوصف بالعزيز الحكيم يشتمل على معنى الغفران والرحمة اذا كانا صوابين ويزيد عليهما باستيفاء معان كثيرة
لان العزيز هو المنيع القادر الذي لا يرام والقاهر الذي لا يرام وهذا المعنى لا يفهم من الغفور الرحيم والحكيم هو الذي يضع الاشياء مواضعها ولا يفعل الا الحسن الجميل فالمغفرة و
الرحمة ان اقتضتهما الحكمة دخلتا فيه وزاد معنى هذا اللفظ عليهما من حيث اقتضى وصف الحكمة في سائر افعاله **قوله تعالى** هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير
القراءة قرأ نافع وحده يوم ينفع بالنصب والباقون بالرفع **الحجة** قال ابو علي من رفع يوما جعله خبر المبتدأ الذي هو هذا واضاف يوما الى ينفع
والجملة التي من المبتدأ والخبر في موضع نصب بانه مفعول القول كما تقول قال زيد عمرو اخوك ومن قرأ هذا يوم ينفع احتمل امرين احدهما ان يكون مفعول قال تقديره
قال الله هذا القصص وهذا الكلام يوم ينفع الصادقين صدقهم فيوم ظرف للقول وهو اشارة الى ما تقدم ذكره من قوله اذ قال الله يا عيسى بن مريم وجاء على لفظ الماضي

فانكان